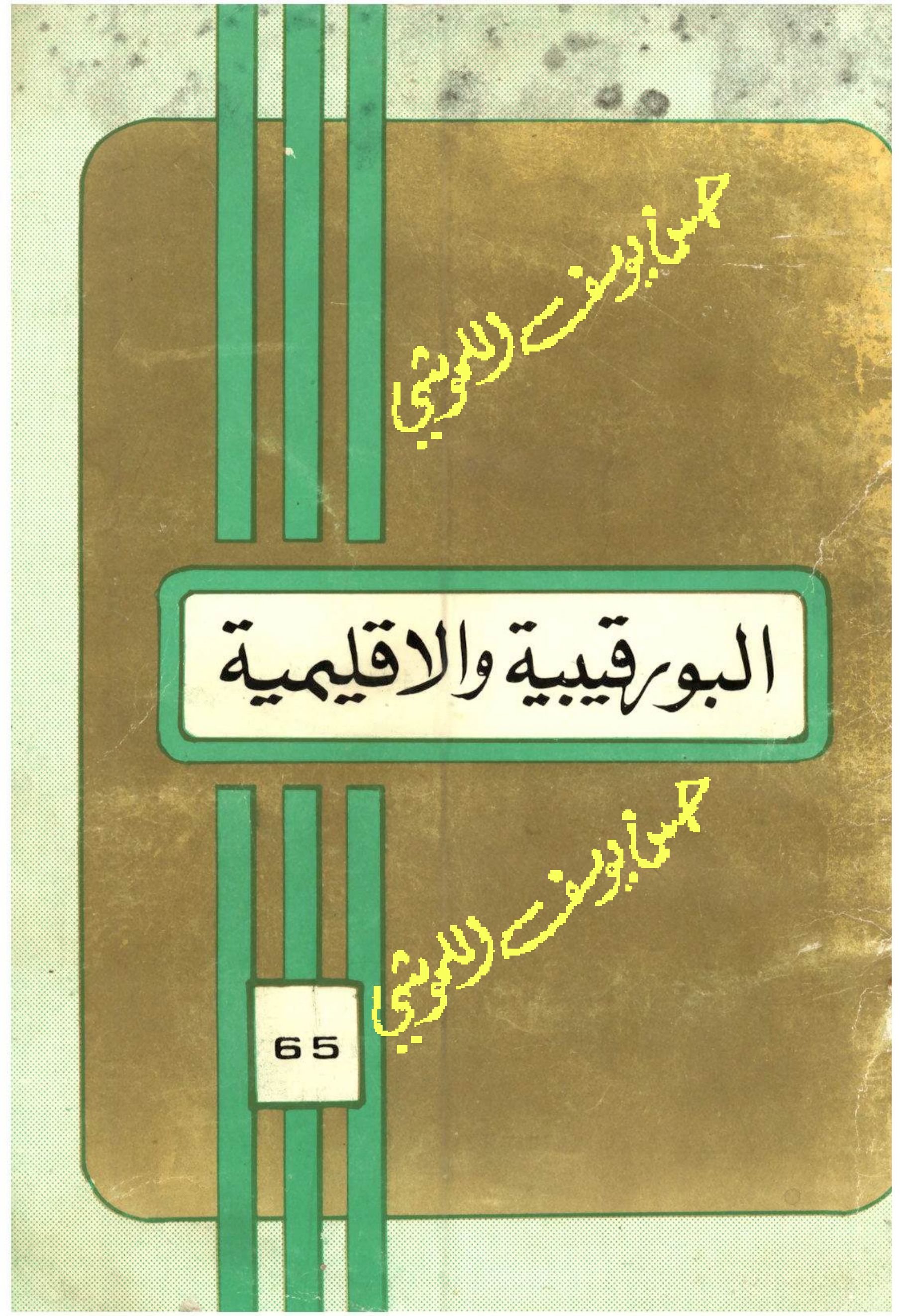

البورقيبية والاقليمية
65

حسن أبو يوسف الدويني

البورقيبية والاقليمية

المحتويات

عــن البورقيبــة •• والاقليميــة

هــذه الحقيقــة

قد نختلف في لفظ وتركيب الاقليمية كمصطلح لم يتحدد معناه بشكل دقيق . لكن المهم هنا هو اننا ندركها جميعاً ، وجميعنا يقف على معانيها العامة . فالاقليمية هي ثقافة التفكير في الجزء ومحاولة تجاهل الكل الذى ينتمي اليه هذا الجزء وذلك لأغراض عدة تختلف باختلاف ظروفها . سياسية .. او اقتصادية او اجتماعية .. او ثقافية كانت .

فالايمان بالاقليم والتركيز عليه ومحاولة سلخه من كيانه القومى والعام ، هو واحد من أهم مظاهر الاقليمية التى ترتكز معانيها هنا على كونها التجزؤ الذى يفصل القطر المتجزىء عن امته ليكون بالتالى اقليماً ، وصانعوه والمتشبثون به اقليميون . . وقد يصل الايمان بالاقليمية الى مرحلة

الانفصال . . والتنكر للروابط التي كانت تجمع الاقليم مع كيانه الكلي . . وهذا هو الناتج العملي للايمان بالتجزؤ . . الايمان بالاقليمية .

من هنا يكون الاقليمي هو الانفصالي مع اختلاف الرتب . وتلازم صفة الاقليمية . كل فردأو جماعة تؤمن بالتجزؤ أو تسعى اليه طبقاً لمصالح انانية بعيدة المدى أو آنية سواء أكان هذا التجزؤ عن الأمة .. او عن الاقليم .. او حتى عن القبيلة .. او العائلة .

وهنا نجد انفسنا امام تعريف آخر للاقليمي حيث الشخص الذي يرفض علاقات مع الآخرين رغم وجود هذه العلاقات بشكل طبيعي قائم على أسس تاريخية . وجغرافية وحضارية . هو شخص اقليمي لسعيه للانسلاخ عن جماعته وقيامه بفعل تدمير كيانه الاجتماعي سواء أكان هذا الكيان أسرة .. أو أمة .

إن الاقليمي بخروجه عن وضعيته الاجتماعية إنما يجسد موقفاً غير طبيعي ، الأمر الذي يجعل وجوده قائماً على صيغة غير طبيعية .

البورقيبية كنظام وثقافة عرفتها الجماهير العربية في تونس هي واحدة من أهم اعمدة الاقليمية في الوطن العربي حيث هي الدعوة المعلنة وباستمرار . لتأكيد كل المفاهيم الاقليمية . بل ولزرع مفاهيم جديدة تستهدف تدمير « الكل القومي » وتنمية روح الجزء والاقليم على طريقة « الكيان الذاتي للاقليم » وقطع جذور انتماءاته القومية العضوية والحضارية عبر التاريخ .

والحقيقة الهامة التي لا يمكن تجاوزها هنا هي تجذر هذه الروح الاقليمية في النهج البورقيبي الذي يتجه عبر كل وسائله السلطوية ، وهيمنته على الظروف الاجتماعية في تونس العربية إلى محاولات بث شعور اللاارتباط مع الأمة العربية .. حيث نسمع . ولا زلنا عن البورقيبية وهي تؤكد على مفاهيم « الأمة التونسية » بمضامين خطيرة جداً على مستقبل عروبة تونس وقومية آجيالها القادمة حيث اصبح هذا المفهوم بكل مضامينه منهجاً يغيب به التلاميذ في سنوات تعليمهم الأولى والمتوسطة . ليتولى « الحزب الدستوري » تغييب

طلاب مراحل التعليم الثانوى والجامعى وهذا امر لا يخفى على أحد البتة .

إن هذا المفهوم الذى يتمحور حول التأكيد على سلخ تونس عن امتها العربية هو في حقيقته واحد من اهم خطوط « الاستراتيجية » البورقيبية التى تهدف اساساً إلى تغريب هذا « الجزء العربي » عن « كله القومى » الأمر الذى يعكس بالدرجة الأولى الهوية الحقيقية للبورقيبية التى استطاع الواقع ان يكشف عن وجهها الاقليمى وروحها المغتربة .

إن المفهوم الآخر والذى ارادت له البورقيبية ان يتعمق بشكل قوى استكمالاً للمخطط هو مفهوم «القومية التونسية» والتى طرحت في تونس « كبديل تام » عن القومية العربية بحيث يتأكد السعى نحو الاقليمية بعاملين هامين هما كون :ـ أن لتونس قومية خاصة بها لا يربطها مع القومية العربية سوى « حسن الجوار » وكون الجماهير العربية في تونس امة لا تلتقى مع الأمة العربية إلا في اطار « الوفاق الأممى » وبالتالى تكون النتيجة محصورة اساساً في حقيقة أخرى هامة

هى كون :— لتونس البورقيبية شخصيتها القومية وهويتها الأممية الخاصة بها .

وفي هذا الاطار تجرى عمليات هدم شاملة وقوية لكل العوامل المؤكدة على عروبة تونس من لغة وعادات وتقاليد واعراف . حيث يجرى الآن « تغليب » اللغة الفرنسية على اللغة العربية .. كما ثمة سعى جاد لتدمير النمط الاجتماعى العربي في تونس ومحاولة خلق الانماط الغربية والفرنسية خصوصاً في تونس حيث تزرع وبلا أى ممانعة من البورقيبية العادات والتقاليد وطرائق التفكير والثقافة الاجتماعية الغربية والغريبة في تونس ووسط جماهيرنا العربية هنالك .

هذه إذن أهم خطوط البورقيبية ، وهذه أهم ملامحها الاقليمية بكل سياساتها ، ومخططاتها هذه هى البورقيبية « الحكيمة » وهذا هو دستورها « الرشيد » .

إنها الجريمة البورقيبية التى تسعى لارتكاب جرمها التاريخى .. في سرقة عروبة تونس وطمس معالم وجهها العربي .

هذه هى الأفكار البورقيبية المسمومة . طرح متخلف وعقلية متأخرة لم ترق بعد الى مستوى الانتماء للعرب تاريخاً وحضارة . فظلت قاصرة حاقدة ومغتربة . فأنكرت على جماهيرنا في تونس العربية وجهها العربي ، وحاولت ان تلبسها قناع الزيف .. دون ان تدرى انها تجذف ضد التيار .

الباحث في سياسات النظام البورقيبى سيقرأ من أول ورقة حقيقة الوجه القذر الذى تطل به البورقيبية ، هذه البورقيبية التى سجلت وطوال تاريخها انحيازها الكامل للغرب بل والبحث الجاد الذى سعت من خلاله الى ايجاد مكان لها هناك وهوية . .

إننا هنا سنبين وبالدليل. ارتباطات البورقيبية المشبوهة والجذور الانفصالية لهذا النهج الذى اثقل كاهل شعبنا العربي في تونس طوال فترة حكم « الاخطبوط البورقيبى »

1 ــ نهج اقليمي

عمدت البورقيبية وبشكل واضح الى طمس كل التاريخ العربي لتونس العربية ، فقد اغفلت الدور العربي في تونس تماماً مثلما اهملت دور تونس العربية في احداث التاريخ العربي وقلبت الجهاد القومي الى جهاد تونسي له طابعه الخاص والمميز من خلاله .. وربطه «بالمسيرة الجهادية البورقيبية» وهذا امر جد خطير لا سيما إذا ما عرفنا انه يشكل منهاجاً للتعليم والاعلام في تونس وفق سياسة الارتباطات البورقيبية المشبوهة بجذورها الانفصالية

إن هذا النهج الذى تنهجه البورقيبية لا يعكس في حقيقة واقعه سوى الوجه الحقيقي للبورقيبية الاقليمية التى سجلت اسرع تراجع عن اعظم خطوة قومية تمثلت في بيان جربة الوحدوى الذى شهدت السبعينات ميلاده على يد ثورة الفاتح الوحدوية حيث كان البيان يتضمن اعلاناً فورياً للوحدة بين الجماهيرية وتونس كخطوة اولى على درب وحدة العرب . ووحدة بلادهم الشاسعة ، وكانت « الجمهورية العربية

الاسلامية » الشرارة الأمل في يأس العرب واقليمية انظمتهم . ولكن طبيعة البورقيبية الاقليمية غلبت تطبعها فانهارت الوحدة مباشرة بعد مغادرة الوفد الوحدوى العربي الليبى الأراضى العربية التونسية . واعلنت البورقيبية على إثر ذلك درجة الاستنفار القصوى في جميع أجهزة نظامها وباشرت اجهزة القمع البورقيبية حملتها المضادة وأجرت أعمال القمع والاضطهاد في كل القوى الوحدوية العربية القومية في تونس حيث القت القبض على الكثيرين منهم واقالت الكثيرين من مناصبهم . وكانت التهمة الوحيدة الموجهة للجميع انهم قالوا نعم لوحدة الأمة العربية ووحدة ليبيا وتونس في مقدمة ذلك .

لقد تعرضت كل القوى الوحدوية القومية للقمع البوليسى ولاضطهاد « ميليشيات الحزب الدستورى » وعاش النظام البورقيبى على إثر ذلك كله فترة مواجهة وصدام حقيقى « مع الشارع العربي التونسى » الذى هتف بأكمله للوحدة العربية .

وراح الأعلام البورقيبي يستمد مادته الإعلامية من نهج صانعيه حيث سرعان ما انقلب على نفسه يناقضها في ذات اليوم وكشر عن انيابه الاقليمية ينفث سمومه ضد الوحدة والوحدويين .

2 ـ والاعلام اقليمي ايضا

الحقيقة الهامة والمسلمة التي لا جدل فيها هي أن الاعلام التونسي . . هو اعلام بورقيبي وليس أكثر من ذلك .. بوق يردد ما يملى عليه ، وهو غارق في وحل الاقليمية حتى رأسه والذي يتتبع « الاعلام التونسي » بكل اذاعاته وصحفه سواء الناطقة باسم الحكومة او تلك الناطقة باسم المعارضة التي صنعتها الحكومة سيقرأ ويسمع ويشاهد ذلك بأم عينه .

إذن المتتبع لهذه الأبواق البورقيبية سيلاحظ بوضوح الخط الاقليمي الذي يتبعه الاعلام التونسي وسيكتشف تلك السياسة المتبعة في « تغريب » الشارع التونسي عن طريق العديد من الوسائل وبأسلوب زرع العديد من المفاهيم ، كمفهوم « الأمة التونسية» بدرجة توحي للمواطن العادي انه

ينتمي فقط الى كيانه الاقليمي الذى حرصت البورقيبية على زرعه وتجذيره في عقلية المواطن البسيط ومحاولة خلق عقلية اقليمية تعمل على الانفصال عن كيانها القومي العربي وهذا هو المقدمة الحقيقية لدعاية حسن الجوار التى ينتهجها النظام البورقيبى او التى يحاول من خلالها الخروج الى المواطن بصورة النظام الذى يحترم جيرانه . مغيباً بذلك حقيقة ان حسن الجوار يمكن ان يكون بين الأمة العربية وجيرانها لا بين أقطار الأمة الواحدة ، وفي هذا السياق ايضاً لا يترك الاعلام البورقيبى فرصة إلا ويعمد فيها إلى تشويه وطمس المناسبات الوحدوية واحداث الوحدة العربية . ويكفى هنا ان نستحضر ما طرحته المرئيةالتونسية في العام 83م وبالتحديد في ذكرى انفصال وحدة مصر وسورية حيث عرضت برنامجاً مصوراً عن هذه الذكرى . عمد فيه معدوه إلى عرض صور الفقراء والمحرومين في الشوارع وصور أخرى لأناس بلا مأوى ، ومناظر لرجال « البوليس » وغير ذلك من اللقطات التى لا هدف منها إلا تكفير المواطن العربي بقضية الوحدة العربية وهنا نتساءل « انه من يدرى فلربما

كانت هذه الصور التى عرضتها المرئية التونسية من داخل شوارع تونس ولا علاقة لها بموضوع المناسبة على الاطلاق في نهاية هذا البرنامج يظهر المذيع على الشاشة مبتسماً مؤكداً في ذات الوقت على حتمية سقوط الوحدة وقال « وقد شاهدتم ذلك من خلال هذا الشريط »

إن هذا البرنامج الذى نأخذه واحدا فقط من أهم الأدلة الكثيرة اعطى اتجاهاً سلبياً تجاه الوحدة وعمد الى تحذير كل الداعين للوحدة ولو إلى أمد معين .

هكذا يجد النظام البورقيبى في الإعلام فرصته الوحيدة لإيهام الشعب العربي في تونس بأن الوحدة العربية سراب وأن المستقبل للإقليمية .. وللأمة التونسية ! .. وللارتباط بالغرب ! ! وان هذا جميعه لا يتم إلا بفك الارتباط التاريخى والحضارى والعضوى مع الأمة العربية .

وهذا مسار آخر للنهج البورقيبى الاقليمى لا يخفى عن أحد كغيره من المسارات .

3 ـ هذا هو الحزب .. وتلك هى الحكومة ..

الاقليمية عند البورقيبية ليست فقط مجرد نهج وسياسة بقدر ما هى صفة ملازمة وطبيعة ثابتة تلتصق بالبورقيبية شكلا ومضمونا . فهذا النظام بحزبه الدستورى يسير بخطى ثابتة نحو « قومية تونسية » ونحو « امة تونسية » في ذات الوقت الذى يعمل فيه جاهدا على طمس الوجه العربي لتونس عن طريق تدمير الأصول العربية والتاريخية باتباع اسلوب امتهان الأمة العربية والايحاء الى الجماهير العربية في تونس بالتخلف العربي . وان تونس لكى تخرج من هذا التخلف وتلحق بركب « التطور » لا بد لها من بناء نظام قوى ومتمكن واقليمى ومغترب ليستطيع تحقيق كل تلك « الآمال القومية للأمة التونسية » على حد مفاهيم « الحزب الدستورى » أو على الأقل الدفاع عن النهج البورقيبى الساعى الى تحقيق تلك السياسة إن لم يستطع فرضها على الجماهير .

إن الحزب الدستورى .. هذه الأضحوكة المهزلة التى لا زالت البورقيبية تصفها بالنزاهة . هو في الحقيقة صنيعة

الاستعمار الذى أوصل بورقيبة الى سدة الحكم في تونس ولا أحد يجهل الاساوب الذى به ظهر الحزب الدستورى وكيف ان فرنسا ارادت ان تجعل من بورقيبة بطلاً ومجاهداً فأخذت تدبر مسرحيات الاعتقال له ولزبانيته حتى يظهر « الحزب الدستورى » وكأنه الحزب الذى حرر تونس من الاستعمار . في حين ان بورقيبة وزبانيته في اثناء فترات ما يسمى « بالمعتقل » كان يتنقل بين فرنسا وتونس يلتقى العملاء .. ويبيع تونس ويوقع صفقات « فرنسة تونس » وقطع جذورهاالعربية ويقدملفرنسا ولاءات الطاعة وصكوك الخنوع والخزى ..

على هذا قام الحزب الدستورى .. وتلك هى أهدافه وغاياته .. « ومثله العليا » وذلك هو جهاده الأكبر الذى يتباهى به . إن هذا الحزب في حقيقته تركيبة استعمارية . الهدف منها ضمان « ارتباط » تونس بالغرب واستمرار ولائها لفرنسا ، فليس ثمة « للحزب الدستورى » اية مهمة أخرى وان خرج علينا بأنه الحزب الذى حرر تونس من الاستعمار الفرنسى .

وهكذا يظهر جليا ان الاستقلال الذى يدعي « الحزب الدستورى » تحقيقه هو في الواقع كذبة البورقيبية المسمومة التى اوجدت حزباً غريباً في شكله وتركيبته وفي معناه . مألوفا في مهامه . وخياناته وتآمره على الأمة العربية شأنه في ذلك شأن كل الأحزاب التى اسسها الاستعماريون أوورثتهم او من هم على دينهم . وبذلك كان « الحزب الدستورى » الخنجر الذى اراد به الاستعمار طعن جماهيرنا العربية في تونس من جانب وفرنسة هويتها العربية من جانب آخر ، واعدادها لتكون قاعدة للتسلل باتجاه تدمير الكيان العربي . .

إن هذا «الجهاز» الذى يطلقون عليه «الحزب الدستورى» هو تشكيلة غريبة التقى فيها كل الخونة الذين صافحوا المستعمر الفرنسى وجالسوه يبايعونه بالولاء والطاعة في الوقت الذى فيه جماهيرنا العربية في تونس تقاتل الفرنسيين وتقدم قوافل الشهداء فداءً لجزء من الأرض العربية أراد المستعمر اذلاله والسيطرة عليه وقهر العرب فيه ، ولكن

كيف يصبح الخونة « وطنيين ومجاهدين وأبطالاً » وينقلب الثوار والمجاهدون الحقيقيون إلى لا شيء ؟ .

إن المعادلة هنا ذات أطراف متناقضة ، فالبورقيبية وحزبها ومن سار على نهجها اصبحت تشكل أساس المعادلة «المقلوبة» وتحولت الخيانة الى كفاح وجهاد اصغر واكبر ، والخونة إلى مجاهدين صغار وكبار ايضاً . اما الجماهير العربية في تونس فكأنها لم تكن بتونس ايام « حرب الاستقلال »

إن التاريخ الذى تكتبه « البورقيبية » هو فقط الذى يسطر « ملاحم الكفاح البورقيبى » « ونضالات » المجاهد الأكبر و « المجاهدين الصغار » في « حزب الأمة العتيد » اما كفاح شعبنا العربي في تونس فإن الحديث عنه جريمة تكلف صاحبها حياته .

تلك باختصار شديد بعض مآثر الحزب الدستورى ونضالاته وانجازاته .

أما حكومة المجاهد الأكبر فلا نعتقد اننا في حاجة الى التوسع بالحديث عنها ، ويكفى لكى نعرف حقيقة الحكومة

التونسية ان نعرض واحدة من أهم الضرورات في تشكيل الحكومة إذ لا بد ان يكون عضو الحكومة . عضو الحزب الدستورى . بورقيبياً حتى النخاع . مؤمناً بالغرب وفرنسا على رأسه .. له من المفاهيم الاقليمية ما يمكنه من السير بالنهج البورقيبى للأمام .

إن لصوص الحزب . وخونة الشعب واعداء العرب هم تشكيلة « حكومة المجاهد الأكبر » ولا نعتقد اننا نذيع سراً، فالشارع العربي في تونس يعى ذلك جيداً ويقف على حقائق دامغة كل يوم ، ويعرف تماماً حقيقة « الانتخابات الديمقراطية » التى يظل الاعلام البورقيبى « يتغنى بها » وهو منتشٍ طرِب بحكايا ومآثر الحكمة البورقيبية .

ليس غريباً على البورقيبية كل ذلك . فالذى يريد استئصال جزء من امة ليصنع منه امة ، يمكن ان يمارس الجنون والخبال بأبشع مما نرى .

هكذا إذن تسعى الحكومة عبر الحزب إلى تكوين كوادرها ويسعى الحزب عبر الحكومة إلى فرض سياساته

وارغام الجماهير على قبول الانضمام إلى عضويته . ولأن الحكومة هي دائماً « صنيعة » الحزب فإن برامجها هي فقط الوجه التنفيذي لمخططات « الحزب البورقيبي » بوجهه الاقليمي . فالحكومة هي دائماً في خدمة البورقيبية ابتداءً من تنفيذ مخططاتها وانتهاءً بقمع وضرب وتشريد الجماهير الشعبية المقهورة والمقموعة .

4 ــ أكذوبة الأمة التونسية

« أيها الشعب التونسي . أيتها الأمة التونسية » هكذا دائماً يخاطب بورقيبة الجماهير العربية في تونس . مفهومان اقليميان فيهما من تزوير الحقيقة والتاريخ ما يندى له الجبين . وكل ذلك لأجل تغييب الجماهير العربية في تونس عن أمتها العربية ومحاولة ايهامها بأنها أمة منفصلة عن العرب . ولذلك نرى بورقيبة وأدواته المختلفة الحكومية والاعلامية والدستورية يربط دائماً في مطلع «كل توجيه » له بين الشعب والأمة . بل انه يتجاوز ذلك إلى نعت الجماهير العربية بمفهوم « الشعوب» الأمر

الذى يوحى بأن لاعلاقة عضوية أو حضارية أو تاريخية بين هذه الشعوب، وأن أكثر شيء يجمعها هو حسن الجوار وهذا جاء بحكم التواجد الجغرافي الذى حدد المنطقة الواحدة. في الدستور التونسى والذى لايحق لأحد الاطلاع عليه إلا بإذن الرئيس .. جاءت معظم المواد ممهورة باسم « الأمة التونسية » وجماهيرنا في تونس تعلم ذلك وتنادى كلما حانت الفرصة باحترام الوجدان العربي والاسلامى واعتماد ذلك في الدستور التونسى، إن ذلك لدليل قوى على رفض الجماهير العربية في تونس لهذا النهج الاقليمى البورقيبى، وهو حجة دامغة في وجه البورقيبية على حقيقة وعمق عروبة تونس ..

إن البورقيبية الاقليمية بكل سلوكياتها وثقافتها تعيش حالة صدام مستمر مع الشارع العربي القومى الوحدوى في تونس . وجميعنا يعرف الأساليب البورقيبية المتبعة في خنق وكبت هذه الأصوات، فمن السجون والمعتقلات وممارسة صنوف التعذيب إلى الاعدامات المباشرة إلى النفى والحرمان من العيش داخل البلاد، وأن الكثير من

الجرائم تتم وبدون محاكمات شرعية . وأن « الشعب» هو دائماً التهمة الجاهزة التي يتم الباسها لأي معاد للنظام ورافض لأطروحات التفكير البورقيبي ومؤمن بالوحدة العربية والقومية العربية هذا من جانب أما من الجانب الآخر وعند الحديث عن « الأمة التونسية » كمفهوم اقليمي تتبناه الاقليمية لايمكننا على الاطلاق تجاهل دور « البوليس القومي التونسي» في تأكيد هوية هذه « الأمة المزعومة » بالسياط والاقبية المظلمة وأبشع الأعمال اللاأخلاقية واللاإنسانية ولعل خير دليل يكشف ذلك الواقع هو ما تأتي به تلك الاحصاءات السنوية لمنظمات حقوق الانسان وكشوفاتها الطويلة التي تكشف كل مرة عن قوائم المضطهدين في معتقل البورقيبية الكبير « تونس » وكشفها عن الأساليب التي أدانها القاصي والداني واقشعرت من سماع أحداثها كل الوجدانات والمشاعر الانسانية على وجه الأرض . إن احصاءات منظمات حقوق الانسان في أغلبها كانت تكشف حقيقة ان الأغلبية الساحقة ممن يمارس ضدهم العسف والقهر هم الذين يحملون أفكاراً قومية عربية

وحدوية سواء أكانوا أفراداً أو منظمات أو تنظيمات علنية أو سرية .

إن قضية الاتحاد التونسي للشغل لا زالت ماثلة في أذهان الكثيرين وكيف مارست البورقيبية العنف مع العمال الذين رفضوا « انتزاع » تونس من محيطها القومي وجذور أمتها العربية ، حيث عمدت القيادات العمالية إلى اعتماد الطرق الدبلوماسية وسياسة المراحل من أجل الوصول إلى الحكومة ومحاولة منع هذه الجريمة الاقليمية ، ولكن دون جدوى إذ سرعان ما أخذ النظام يناوش الاتحاد التونسي للشغل ويمارس عليه مختلف الضغوطات لكي يدفعه للصدام معه بقصد توجيه الضربة القاضية لهذا المنبر الشعبي الذي شكل خطراً على مخططات البورقيبية وهكذا يعتبر كل الوطنيين المخلصين من ابناء شعبنا العربي في تونس مجموعات شغب ويتم تشويههم وتحت نفس الستار رغم كونهم في الحقيقة يريدون أن تكون تونس عربية النهج والانتماء والمصير مثلما كانت دوماً..وتحت شعار مقاومة

الشعب أيضاً ينكل النظام البورقيبي بأحرار تونس حينما يخرجون متظاهرين ضد مواقف النظام التخاذلية وسياساته المخزية، ولعل المثال الأقرب إلى الأذهان الآن هو احداث المظاهرات ابان الغارة الأمريكية الفاشلة على الجماهيرية وكيف أخذ النظام يقمع كل الذين يهتفون ضد الارهاب الأمريكي وينادون بوحدة أمتهم العربية لمواجهته ..

ليس بعيداً أيضاً على الأذهان المواقف التخاذلية لنظام تونس ازاء الأعمال الارهابية العنصرية الهمجية الصهيونية في فلسطين ولبنان والأعمال الارهابية في صبرا وشاتيلا وأعمال الارهاب الأمريكى المتكررة في أرجاء الوطن العربي ، تلك الأعمال التى يتألم لها كل عربي أبي بينما ينشرح لها صدر النظام البورقيبي العميل وكل الأنظمة التى على شاكلته ..

ورغم كل تلك الحقائق والأدلة الدامغة والحجج القوية ورغم المشاهدات اليومية ورغم التخاذل المعلن من كل المواقف القومية والأحداث العربية لا زال النظام البورقيبي الاقليمى يصر على رفع شعارات الوحدة

والتحرير والعدالة والاشتراكية والقومية .. لكن هذه حقيقة أخرى تظهر زيف هذا النظام وعقمه وتخلفه وتفاهته وليس أكثر من ذلك .

5 ــ باتجاه تغريب تونس

يظل دائماً التوجه العام للبورقيبية كنظام اقليمى يسعى إلى خلق «كيانه القومى المصطنع» محصوراً في احداث عملية ربط تونس العربية بالغرب ومحاولة تغريبها بكافة السبل والامكانات المتاحة له ، حيث يجرى دائماً العمل على تشويه وطمس الوجه الحقيقى لتونس العربية وقد أثبت «بورقيبة» عزمه الأكيد في ذلك من خلال حرصه على اختيار وزرائه في الوزارة الأولى بحيث يكون كل وزير أول موالياً لاغرب ثقافة وسلوكاً وتمكيراً قبل حتى ولائه لبورقيبة أحياناً،ورغم اختلاف درجات الولاء لهذه الدولة الغربية أو تلك إلا أن فرنسا بقيت «المعشوقة» الأولى لبورقيبة وحكوماته المتوالية ، ولهذا تفسير واحد فقط مرتبط «بالفضل التاريخى» لفرنسا في وصول

بورقيبة إلى الحكم ، اضافة إلى ان فرنسا هى صانعة السياسة البورقيبية من النهج البورقيبي المتميز « بحكمته » إلى الحزب الدستورى الفاقد للدستورية .

إن فرنسا استطاعت من خلال « هيمنتها » المباشرة على النظام البورقيبي أن تكسب حق السيادة في تونس لاسيما في ظل بورقيبة بعد أن طبقت حرفياً مقولة « ديغول » « اخرج لكى تبقى» وعلى هذا خرجت فرنسا من تونس ومن الباب الخلفى كما يقولون لتدخل من الباب الرئيسى وبصفة شرعية وبترخيص من الحكومة وبختم رئيس الجمهورية والحزب الدستورى .

إن الاستراتيجية البورقيبية بكل خطوطها الاقليمية تسعى جاهدة لتحقيق أحلامها في الأمة التونسية وربطها نهائياً بعجلة الغرب وفك ارتباط تونس العضوى بالأمة العربية عن طريق عرقلة الجهود القومية التى تستهدف تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

وقد ادرك الغرب رغبة بورقيبة في الارتباط به فسعى

إلى احتضانه وجره إليه .. وجرى ذلك في اطار خلفيات الصراع بين فرنسا وأمريكا واتفقا على تقسيم تونس تأكيداً على « تعميق » عمالتها للغرب وهكذا يتباهى النظام الاقليمى البورقيبي على العرب بأنه « الابن المدلل » لدى فرنسا والصديق الوفي لأمريكا .. وأى تباه هذا ؟!!

والشواهد على ذلك كثيرة .. فالنظام التونسي لايجد نجدة في أوقات شدته وأزماته إلا من فرنسا فهى المنجد له من كل أزمة تحاصر أركانه المهترئة بدعوى حماية « الأمة التونسية » من غزو « أمة العرب لها » !!!!

إن كل الأساليب المتبعة في تونس ابتداءً من التعليم الابتدائي والمتوسط والعالى وحتى دور الثقافة ووسائل الاعلام ودور التربية المختلفة لا ترى لغة أحق بالتعامل بها من الفرنسية ، ولا تجد ثقافة تنشرها وتجذرها « أعظم » من الثقافة الفرنسية ، وليس ثمة في عرفها نمط اجتماعى ترتضيه للمجتمع العربي في تونس عدا النمط الغربي والفرنسى على وجه التحديد . ولذلك لانرى اطلاقاً أى

برامج تستهدف التعريب ونشر اللغة والثقافة العربية واحياء التراث والعادات والأنماط الاجتماعية العربية .. بل ان الحملات على أشدها في ترسيخ المفاهيم الاقليمية . «كالشعب التونسي» و«الجمهورية التونسية» و«الأمة التونسية» ولا مكان على الاطلاق لمفهوم «العربية» لا استعمالا ولا ثقافة ولا كتابة . اضافة إلى كل ذلك يجرى توسيع جسور الاتصال بالغرب وعلى كافة الأصعدة : الثقافية والاقتصادية والعسكرية والتكاملية في نفس الوقت الذى يجرى فيه تضييق قنوات الاتصال مع العرب من خلال فرض القيود على كل ماهو عربي..تلك حقيقة أخرى لامجال لانكارها مهما تلون النظام البورقيبي الاقليمى .. أو حاول إلى ذلك سبيلا

6 ــ أين المبادرات العربية للنظام ؟

نظرة واحدة على محفوظات «أرشيف» أكثر الأنظمة العربية رجعية لوجدنا آلاف المذكرات والمشاريع والاتفاقات التى تتحدث وتهتم بالقضايا العربية والهموم العربية من

التحرير إلى الوحدة .. حتى وإن كان ذلك مجرد حبر على ورق .

لكن المثير للدهشة والاستغراب من جانب، والمألوف بالنسبة لكل عارف بتركيبة النظام البورقيبي هو أن نظام « الحكمة البورقيبية » في تونس لايمتلك اطلاقاً ورقة واحدة في هذه القضايا . وحتى حضوره في المؤتمرات العربية كان باستمرار محصوراً في صفة « مراقب » بل كأنه الضيف الوحيد الذى لا علاقة له بما يجرى على مائدة النقاش والضيف لا يتدخل في شئون الأسرة .

أما عن الاسهامات البورقيبية وهي، وإلى جانب كونها نادرة، تعد بسيطة تافهة وسطحية في مجمل الأحوال اضافة إلى كونها « صحناً » قد تم اعداد طعامه في مطابخ « تل أبيب» نفسها .. وإذا أردنا سرد بعض هذه الاسهامات فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى الحديث عن المشروع السياسى الذى اعترف فيه النظام البورقيبي بالصهاينة وأعطى للفلسطينيين ادارة حكم ذاتي في الضفة والقطاع .. وقد

جاء هذا المشروع في وقت كان فيه عبد الناصر يعبىء الجماهير العربية للمعركة القومية الشاملة .. وقد كان المشروع البورقيبي « الحكيم » بمثابة احباط قومى استهدف زعزعة ثقة الجماهير العربية في عبد الناصر ومحاولة تدمير نفسيتها واختراقها عن طريق زرع الضعف والوهن في نفوسها وهكذا تغيب تونس العربية رغم كونها عربية وعضواً في الجامعة العربية .. فقط لأن بورقيبة يريد ذلك .. ولأن تونس في تفكيره مجرد جارة للعرب .

هذه هى البورقيبية .. وهذا هو ارتباطها بالاقليمية . هذا هو مسلكها وسلوكها .. وثقافتها .. نظام مهترىء واهن يكره العروبة ويعشق الغرب .. الحقد على العرب يجرى في دمه .. وعلى ذلك عاش وسيموت تماماً كباقي الأنظمة التى على شاكلته ..

تلك أولى الحقائق التى يمكن الكشف عنها في اطار الاسهامات القومية للنظام البورقيبي « القومى » أما الحقيقة الأخرى فتنحصر في جهود « الحزب الدستورى » الرامية

إلى « تسييد » اليهود وجعلهم سادة تونس وتغييب الجماهير العربية في تونس ، حيث جرى . ولمرات عديدة التنكيل بكل الذين قاوموا اليهود وجشعهم . وكل الأحرار الذين حاولوا الثأر من اليهود إثر مذابح صبرا وشاتيلا إبان الاجتياح الصهيوني للبنان العربي .

لقد سخرت كل أجهزة النظام لحماية هذا الامتداد الصهيوني في الوطن العربي في الوقت الذى لم يجد فيه المواطن العربي في تونس أى حماية من جشع أولئك اليهود .

وهكذا لم تحظ القضايا العربية ولا خلفيات أحداثها ولا آثارها بأى اهتمام أو معنى في عقلية هذا النظام الهرم الحالم فقط « بالقومية » التونسية . ذلك صعيد .. أما الصعيد الآخر فهو يجسد حقيقة المواقف الدولية لنظام بورقيبة و« حزبه العتيد » حيث ليس هناك من يجهل « تنصل » البورقيبية من الالتزامات القومية العربية والتى أقلها رفع يد في منظمة دولية ، فالقضايا العربية عند نظام « المجاهد

الأكبر» ليست أكثر من مجرد قضايا متداخلة مع قضايا «الأمة التونسية» وبسبب عامل الجوار .

والحديث عن مساهمات النظام البورقيبي في القضايا العربية لابد أن يدفعنا، وبالضرورة، إلى الحديث عن تسفيه الأفكار القومية العربية ، حيث لا ينام البورقيبيون إلا بعد أن يكونوا قد «جاهدوا» جهاداً أكبر على جبهة مقاومة الأفكار العربية القومية الوحدوية والتقليل من شأن القضايا العربية ولا سيما قضية الوحدة العربية . ويكفي أن ينعق الاعلام البورقيبي الاقليمي «نعقاً موضوعياً» في معالجة القضايا والآمال العربية بلغة غربية .. ليتام البورقيبيون على «جلجلة» صوت اعلامهم «القومي» المدوية في آذان «الأمة التونسية» .

ولا يمكننا هنا أيضاً أن ننسى احتضان النظام البورقيبي لقوى اليمين الفلسطيني ومحاولة احتواء والغاء دور منظمة التحرير الفلسطينية على الساحات العربية وكل ذلك .. كان في اطار «المساهمة» في معركة تحرير فلسطين !!!

أما آخر المبادرات العربية لنظام الاقليمية والتبعية في تونس فقد سجلت في منظمة «الدومن» حيث دخل النظام البورقيبي هذه المنظمة وهى في أوج قوتها وقد تم دخوله بناءً على ايعاز من دوائر الغرب التى شعرت بتنامى سيطرة الدول المصدرة للنفط على ثرواتها وعلى انتاج وتصدير هذه الثروات . الأمر الذى تطلب ضرورة تخريبها من الداخل بعد أن فشلت الرموز الرجعية الأخرى من فعل ذلك بمفردها ، فكان دخول النظام البورقيبي بمثابة المدد للرجعية ، وليكون قرار الدومن ، ودائماً ، في صالح الغرب ولقد خرجت تونس من هذه المنظمة بمجرد انتهاء مهمتها المناطة بها في اطار توزيع الوظائف والمهام على رموز الأنظمة العربية الخانعة .

إن العملية البورقيبية التى تتبعنا في هذا التعميم درجة ارتباطها بالاقليمية وحرصها على الانتداء للغرب تثبت في كل مرة .. وعبر كل موقف .. وفي اطار أى مناسبة أنها عدوة للعرب عامة .. ولعرب تونس بصفة خاصة .. لأنهم

واقعون تحت وطأة زيفها وتزويرها ومحاولاتها القذرة .
إن العرب أمة واحدة .. بشهادة التاريخ .. والحضارة ..
والجغرافيا واللغة والدين .. والدم .. والانتماء .. والمصير
هكذا هي .. أحب أعداء العروبة أم كرهوا .. وسيفهم
الصخر إن لم يفهم البشر ... أن العروبة إذا هبت ستنتصر .

حسن أبو يوسف الدويشي

خاتمة

الامم لا تموت ..

قذارة تفكير . وتخلف منهج . وانحراف سلوك وعمالة نهج . وتفاهة أسلوب . وحقارة مبدأ ، وانحطاط خلق ، وانعدام أخلاق . تلك هي باختصار البورقيبية .

وخلف هذا الاختصار يمكن لنا قراءة الكثير واكتشاف الكثير من مساويء هذا النظام الذى عطل دور جزء مهم من أمتنا العربية العظيمة، وحاول جاهداً عرقلة قواها التقدمية عبر تاريخه المليء بصفحات العار والخزى . إن هذا التعميم الذى يكشف فقط اقليمية البورقيبية . كان فقط ليعطى الصورة على جانب واحد من ظلمات هذا النظام المهترىء الساقط لا شك تاريخياً .

إن جماهيرنا العربية مدعوة بقوة وبدفع من قواها الثورية إلى تدمير هذه النماذج التى عرقلت وتعرقل مسيرنا الحضارى في ركب التقدم والرقي .. الذى لا يكون إلا بوحدة هذه الأمة .. هذه الوحدة التى لايمكن أن تكون وأمثال النظام البورقيبي يسطر أمجاده الاقليمية .

إن الأمة العربية قادرة على احداث الفعل التاريخى الذى يحقق الانتصار التاريخى ، الذى بدوره سيلقى بكل هذه العقليات التافهه في زبالة التاريخ .. ويجعل منها ذات يوم ،مادة للتندر والضحك .. أو مادة لدراسة التخلف في متاحف البحث العلمى .

إن تونس العربية آتية .. والانتصار فيها للجماهير وستظل عربية الوجه والتاريخ والانتماء ولن تفلح أبداً أيادى الاقليمية في اقتلاع جذور انتمائها العربي .. لأن كل الذين حاولوا ذلك ،وعبر التاريخ سقطوا وبقيت الأمم حية .

فالامم لا تمــوت

والفاتــح ابــداً والكفاح الثــورى مستمــر

شعبة المناهج والتعميمات

سلسلة تعميمات حركة اللجان الثورية

شعبة المنهج و التعميمات

مكتب الاتصال باللجان الثورية

طرابلس الجماهيرية